

الخطبة الإذاعية (66) : خ 1 - أسباب هلاك الأمم ، خ 2 - الديدان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-07-2004

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي كتب البلاء على عباده المؤمنين، أحمده سبحانه إذ جعل أشد الناس بلاء الأنبياء والمرسلين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد الصابرين أفضل ما أعده لعباده المتقين، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، قدوة الصابرين، وإمام الشاكرين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأعلام الأبرار، والأئمة المهديين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام : في زحمة الأحداث وتسارع المتغيرات، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات، وكثرة الأَطروحات والتحليلات يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تغييباً للرؤية الشرعية، والنظر في فقه السنن الكونية حتى حصل من جرّاء ذلك زلل بالأقدام، وخطل أقلام، وضلال إفهام، وتشويش وحيرة عند كثير من أهل الإسلام، مما يؤكد أهمية المرجعية الموحدة للأمة الواحدة التي ينبغي أن تركز في تحقيق أهدافها على صحة المعتقد، وسلامة المنهج، والعناية بمصالح الأمة الكبرى، ومقاصد الشريعة العظمى، باعتدال في الرؤى، وتوازن في النظر، وأسلوب عالٍ في الطرح والحوار، قال تعالى:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطِئُونَهُ مِنْهُمْ)

[سورة النساء: الآية 83]

هذه الآية تشير إلى المرجعية الواحدة للأمة الواحدة.

أيها الإخوة الكرام، حضوراً ومستمعين: هذه الأحداث التي هزت العالم ألا تنتظمها قوانين وسنن إلهية لا تتبدل ولا تتغير؟ قال تعالى:

(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)

[سورة فاطر: الآية 43]

فما هي أسباب هلاك الأمم في ضوء القرآن الكريم وسنة النبي عليه أتم الصلاة والتسليم ؟
من أبرز أسباب هلاك الأمم كثرة الفساد، وكثرة الخبث، قال تعالى:

(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا)

[سورة الإسراء: الآية 16]

قال علماء التفسير: أمرنا مترفيها بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوا به، ففسقوا، أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه، وكذبوا رسله، فحق عليها القول، أي وجب عليها الوعيد، فدمرناها تدميراً، وقد أكد الله التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم، فإن قال قائل: إن الله أسند الفسق في هؤلاء القوم بخصوص المترفين دون غيرهم في قوله تعالى:

(أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا)

[سورة الإسراء: الآية 16]

مع أنه ذكر عموم الهلاك للجميع، قال المفسرون: هناك جوابان؛ الأول: أن غير المترفين تبعوا لهم، كما قال الله تعالى:

(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا)

[سورة الأحزاب: الآية 67]

والجواب الثاني: أن بعضهم إن عصى الله، وبغى، وطغى لم ينكر عليه الآخرون هذه المعصية وهذا الفسق والفجور فإن الهلاك عندئذ يعم الجميع، كما قال تعالى:

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

[سورة الأنفال: الآية 25]

وكما جاء في الحديث الصحيح من حديث أم المؤمنين زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: ففُتِلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنُهْلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

فأول أسباب هلاك الأمم كثرة الفساد في الأرض، وكثرة الخبث، قال تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

[سورة الروم: الآية 41]

سبب آخر من أسباب هلاك الأمم الكفر بنعم الله عز وجل، وعدم القيام بواجب شكرها، قال تعالى:
**(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا
 اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)**

[سورة النحل: الآية 112]

وقد ورد في الأثر القدسي : " إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر
 سواي، خيرني إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون
 إلي بالمعاصي، وهم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم
 ناديته من قريب، أهل ذكري أهل محبتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي، لا أقنطهم من
 رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من الذنوب
 والمعائب ".

سبب ثالث من أسباب هلاك الأمم من خلال القرآن والسنة : ظهور النقص، والتطيف في الكيل
 والميزان، ومنع حق الله، وحق عباده، ونقض العهود والمواثيق، والإعراض عن أحكام الله تعالى، هذه
 كلها مجتمعة في حديث شريف يبين المرحلة التي وصلنا إليها.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

**((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُذْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرَ الْفَلَحِشَةَ فِي قَوْمٍ
 قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالنَّوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ
 يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ
 أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَّا الْبِهَانِمُ لَمْ يَمْطُرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا
 سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ،
 وَيَتَخَيَّرُوا مِنْ أُنزَلِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ))**

[ابن ماجه]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم معنا يرى تقصير الأمة الإسلامية.

ومن أسباب هلاك الأمم: التنافس في الدنيا، والرغبة فيها، والمغالبة عليها.

عَنْ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفِ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ
 شَهِدًا بَدْرًا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....قال:

**((فَوَاللَّهِ لَأَ الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ
 قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ))**

[البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
**((اتَّقُوا الظلمَ، فَإِنَّ الظلمَ ظلماتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشَّحَّ، فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى
أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ))**

[رواه الإمام مسلم]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
**((إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمْرَهُمْ بِالظلمِ فَظَلَمُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمْرَهُمْ
بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا...))**

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، أحمد، الدارمي]

ومن أسباب هلاك الأمم : التعامل بالربا، وانتشار الزنا، فإن هذا مما يخرب البلاد، ويهلك العباد،
ويوجب سخط الرب عز وجل.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... قَالَ:
((مَا ظَهَرَ فِي قَوْمِ الرَّبَا وَالزَّانَا إِنْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي]

قال تعالى:

**(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى
اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)**

[سورة البقرة]

وانتشار الزنا سبب لظهور أمراض لم تكن في الأمم السابقة، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها
إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، عدد المصابين بمرض
الإيدز في العالم يتجاوز أربعين مليوناً.

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام : ومن أسباب هلاك الأمم : تقصير الدعاة في واجب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقصير الأمراء في إزالة المنكرات.

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ))

[رواه أبو داود]

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((مَثَلُ الْمُذْهَبِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةَ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأْدُوا بِهِ، فَأَخَذَ فَلَسًا فُجِعَلَ يَنْفُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَّوَهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأْذِيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ))**

[البخاري، الترمذي، أحمد]

والتعبير الحديث: نحن جميعاً في قارب واحد.

قال الإمام الغزالي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو الذي بعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإن الله وإنا إليه راجعون. ومن أسباب هلاك الأمم: ترك الجهاد، والإخلاق إلى الأرض.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ دُلَا لَنَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))

[أبو داود، أحمد]

الأخذ بأذنان البقر، والرضا بالزرع علامة على الإخلاق إلى الأرض، والانغماس في الملذات، وترك الجهاد هو سبب الذل والهوان. أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين: ومن أسباب هلاك الأمم: مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة النور: الآية 63]

وقد قال الله عز وجل:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

[سورة الأنفال: الآية 33]

أي ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة في حياتهم، في علاقاتهم، في كسب أموالهم، وفي إنفاقها في تجارتهم، في بيعهم في شرائهم، في علاقاتهم، في أفراسهم، في أتراسهم، في حلهم، في سفرهم، ما دام منهج النبي مطبقاً في حياتهم فهم في مأمن من عذاب الله، وفي مأمن آخر:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

[سورة الأنفال: الآية 33]

وفي حديث طويل عن ابن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((.... وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))

[أحمد]

ومن أسباب هلاك الأمم : الغلو في الدين، والغلو هو التنطع، ومجازرة الحد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا))

[مسلم، أبو داود، أحمد]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((..... إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَ، فَإِنَّمَا هَلِكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ))

[النسائي، ابن ماجه، أحمد]

أيها الأخوات المستمعات، أيها الإخوة المستمعون: نجاح أمة الإسلام هو انتصارها على أعدائها اللئام، والذي يفرح له المؤمنون في كل عصر ومصر، والذي نحن في أمس الحاجة إليه أننا نواجه أعداء ماتت في ضمائرهم وضمائر الذين انتخبوهم كل القيم الإنسانية والأعراف الدولية، وداسوا على حقوق الإنسان بحوافرهم، وبنوا مجدهم على أنقاض الشعوب، وغناهم على إفقارها، وقوتهم على تدمير أسلحتها، إنهم يصفون المالك للأرض الطريد المشرد إرهابياً لا حق له، والمتمسك بدينه القويم أصولياً، ويجعلون اللص الغالب على المقدسات رب بيت محترماً، يملكون الأرض لا بالإحياء الشرعي، ولكن بالإماتة الجماعية، والقهر النفسي، فيا ويلهم، قال تعالى:

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ)

[سورة يونس: الآية 24]

أيها الأخوة الكرام في كل مكان : هؤلاء المستكبرون ربما طالبوا الشعوب المستضعفة أن تلعن جراحها، وأن تبتسم للغاشم، وأن تعد حقها باطلاً وباطل المعتدي حقاً، في مثل هذا يقول عليه الصلاة والسلام:

((كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف، ولم تنهوا عن منكر ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً ؟ قالوا: وكان ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا: وكان ذلك يا رسول الله ؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون))

[الفردوس بمأثور الخطاب]

وضع مؤلم جداً، ونحن المسلمين ينبغي علينا من خلال الأمر القرآني لنا أن نعدّ لهم ما نستطيع من قوة بمفهوم القوة الموسّع، أسرنا ينبغي أن تتماسك، أمهاتنا ينبغي لهن أن يتفرغن لتربية أولادهن، طالبنا ينبغي أن يتفوق، معلمنا ينبغي أن يحمل رسالة يسعى لتحقيقها، عاملنا ينبغي أن يتقن، فلاحنا ينبغي أن يرتبط بأرضه ليزرعها، موظفنا ينبغي أن نعطيه حقه، وينبغي له أن يتفانى في خدمة المواطنين، وقاضينا ينبغي أن يعدل، وعالمنا ينبغي أن يؤثر خدمة أمته على حظوظه من الدنيا، وداعيتنا ينبغي أن ينصح، لا أن يمدح، وضابطنا ينبغي له أن يوقن أن المعركة مع العدو قادمة لا محالة، وأن حديث العدو عن السلام مراوغة، وكذب، وكسب للوقت، ليس غير، وثرواتنا ينبغي أن تستخرج ومصانعنا ينبغي أن تطور، وأرضنا ينبغي أن تستصلح، ومياهنا ينبغي أن يرشّد استهلاكها، وهذا لا يكون إلا بإيمان بالله يحملنا على طاعته، وإيمان باليوم الآخر يحملنا على ألا نظلم بعضنا بعضاً، وأن نطلب جزاء جهدنا وجهادنا في الجنة، وهذا نوع من الجهاد البنائي لا تقطف ثماره عاجلاً بل أجلاً، مثلاً حينما تقول لطالب: واظب على دراستك، كن متفوقاً، خطط لسنوات قادمة لتكون شيئاً مذكوراً في حياة الأمة ومستقبلها لاستكسل هذا، وأثر سماع الأخبار، وأن يكون منفعلاً، لا فاعلاً، إن بعض الاندفاع قد يضاعف المعاناة بدلاً من حلها.

أيها الأخوة الكرام : هاهنا يبرز معنى الجهاد البنائي بمفهومه الواسع الذي هو بذل أقصى الوسع، واستفراغ الطاقة في تحصيل المراد والغفلة عن المستقبل ستجعلنا مشغولين أبداً بإطفاء الحرائق هنا وهناك عن العمل الجاد الذي يخفف المعاناة عن أجيالنا اللاحقة.

أيها الأخوة الكرام : نريد حلاً، هل من ورقة عمل توضع بين أيدي المسلمين ؟ أول نقطة في ورقة العمل العودة إلى القرآن والسنة للعلم والعمل معاً، لا بد من العلم لتثقل هذه المرحلة التي نحيها الآن حتى لا نُؤذي من حيث نريد الإصلاح، حتى لا نفسد من حيث نريد الإصلاح، لا بد العلم لفهم العلماء

الربانيين، لا بد من فهم صحيح، وعمل صادق، ولا سيما أن الجهل قد يؤدي بصاحبه إلى الشرك، وإلى الإفساد من حيث لا يشعر، ولا يريد، هذه النقطة الأولى في ورقة العمل.
النقطة الثانية: تجديد الإيمان، نحن لا نظن أن الأمة قد نبذت الإيمان بالكلية، ولكن نقول الإيمان يزيد وينقص، ويتجدد ويبلَى، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب))

[ورد في الأثر]

أي كما يبلى الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم، نحن في أمس الحاجة إلى تجديد للإيمان، لأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، نحتاج إيماناً يعرفنا ربنا، نحتاج إيماناً يجدد في قلوبنا التوكل على الله والثقة بالله وحده، والرجاء فيه وحده، والاعتماد عليه وحده، والتوكل عليه وحده، واليقين فيه وحده، نحتاج إيماناً إن استقر في قلوبنا نطقت به ألسنتنا، وصدقته أعمالنا .
في الدعاء الشريف: " اللهم إن نبراً من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن الرجاء إلا فيما عندك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك ".
روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))

[البخاري مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك]

النقطة الثالثة في ورقة العمل التي ينبغي أن تكون بين أيدينا هي الأخوة الإيمانية بالعقيدة الصحيحة، وبالأخوة الصادقة أقام النبي صلى الله عليه وسلم دولة:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

[سورة الحجرات: الآية 10]

وأقام دولة:

عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ

الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))

[البخاري، مسلم، أحمد]

أين الأخوة الإيمانية؟ أين أمّة الجسد الواحد؟ نخشى أيها الإخوة أن ينظر المسلم إلى وضع إخوانه المؤمنين فيهمز كتفیه، ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه، لا من قريب ولا من بعيد، ما دام هو آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه.

النقطة الرابعة في ورقة العمل تحويل العلم إلى عمل، العلم ما عم ل به، العلم في الإسلام وسيلة لا غاية، تحويل العلم إلى عمل فإن العلم إذا خالف العمل بُذرت بذور النفاق في القلوب قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)

[سورة الصف]

ينبغي أن نحول المنهج العلمي الرباني إلى واقع عملي يتألق في دنيانا سمواً، وروعة، وحركة، وبناءً، أن نتحرك في هذه المرحلة إلى الدعوة إلى الله، نريد أن نسمع العالم كله عظمة هذا الدين، وحقيقة هذا الدين، قم أيها الموحد دثر العالم كله ببرد تك ذات العبق الطاهر، قم وضم العالم كله إلى صدرك، وأسمعه خفقات قلبك الذي وحد الله جل وعلا، قم واسق الدنيا كأس الفطرة، فطرة التوحيد التي فطر الله الناس عليها، نريد الآن أيها الإخوة من كل مسلم غيور أن يبذل الغالي، والرخيص والنفيس والدين الله تبارك وتعالى، فإن لم تعمل الآن، وإن لم تحمل الآن هموم أمتك، وإن لم تتحرك الآن لنصرة دينك متى تتحرك؟ لا تأكل ملء بطنك، ولا تنم ملء عينيك، ولا تضحك ملء فمك، وكأن الأمر لا يعينك.

أيها الأخوة الكرام: النقطة التالية في ورقة العمل أن نجد الثقة المطلقة بوعد الله الصادق، ب أن الله سبحانه وتعالى سوف ينصر دينه، دققوا في هذه الآية:

(إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)

[سورة القصص: الآية 4]

الآن دققوا:

(وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)

[سورة القصص]

هذا وعد من الله عز وجل للمستضعفين، يقول الله تعالى:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَافِيًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً)

[سورة إبراهيم]

آية تهديد ووعد، ولكن أعظم ما فيها شفاء لقلوب المظلومين، وتسلية لخواطر المكالمين، فكم ترتاح نفس المظلوم، ويهدأ خاطره حينما يسمع هذه الآية، ويعلم علم اليقين أن حقه لا يضيع، وأنه سوف يُقتص له ممن ظلمه، ولو بعد حين، وأنه مهما أفلت الظالم من العقوبة في الدنيا، فإن جرائمه مسجلة

عند من لا تخفى عليه خافية، ولا يغفل عن شيء، الموعد يوم الجزاء والحساب، يوم العدالة يوم يؤخذ للمظلوم من الظالم، ويُقتص للمقتول من القاتل، يوم تُجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم، ولكن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته:

(إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)

[سورة إبراهيم: الآية 42]

أي تنقى أبصارهم مفتوحة مبهوتة، لا تتحرك الأجفان من الفزع والهلع، ولا تطرف العين من هول ما ترى:

(مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)

[سورة إبراهيم: الآية 43]

أي مسرعين، لا يلتفتون إلى شيء ممن حولهم، وقد رفعوا رؤوسهم في ذل وخشوع، لا يطفون بأعينهم من الخوف والجزع، وقلوبهم خاوية خالية، منكل خاطر من هول الموقف، ما أعظم بلاغة القرآن، وما أروع تصويره للمواقف، حتى كأنك ترى المشهد ماثلاً أمامك. أيها الأخوة الكرام : تخيلوا وأنتم تقرأون هذه الآية مصير الطغاة الظلمة الذين انتهكوا أعراض المسلمين، وسفكوا دماء الأبرياء، وقتلوا الأطفال، وشردوا النساء، وهدموا المساجد والمنازل، وردموا الآبار، وجرفوا المزارع.

تذكر أيها الأخ الكريم من عاث في الأرض فساداً، ومن أذاق إخواننا في فلسطين صنوف العذاب والقهر والظلم، تذكر أن الله فوقهم، وأنه سوف يقتص منهم، ويرينا فيهم ما ينتج ا لصدور، إن شاء الله تعالى، ويتحقق لنا وعد الله سبحانه وتعالى:

(قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ تُؤبَى الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36))

[سورة المطففين]

أيها الأخوة الكرام: هذا الواقع الأليم الذي تحولت فيه الأمة إلى قصعة مستباحة من كل أمم الأرض أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى كما في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُوَشِّكُ الْأُمَّمَ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا...))

[أبو داود، أحمد]

تصور أيها الأخ منظر الطيور حينما يقدم لها الطعام بعد جوع شديد، تصور مشهد الطيور وهي تتقاتل، وتتقاذف ليلتقط كل طائر مصيره من هذه القصة، انظر إلى الكلام النبوي بعين التدبر :
عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُوْشِكُ النَّامُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

يقول السيد الرئيس أيها الإخوة في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بالدوحة : إننا نشهد المزيد من إزهاق الأرواح في منطقتنا، ونرى الأمة العربية والإسلامية تزيد إلى رصيدها المزيد من الفقر والجوع، والكثير من الظلم والاضطهاد، كما رأيناها تتباعد أكثر وأكثر عن هويتها حتى تكاد تذوب في هويات الآخرين، وفي المقابل كانت دول أخرى تزداد طغياناً واستغلالاً، ويشر عن قتلها، وتدميرها للغير، وبنظرة متأملة في العقود الماضية نرى أن نقلة تراجعية كبيرة إلى الوراء قد تمت بالنسبة إلى دول المنطقة ترافقت مع ظهور مفاهيم جديدة مختلفة، وخاصة بالعقد الماضي، وفي مقدمتها مفهوم النظام الدولي الجديد، أو ما يسميه البعض بالعولمة، فالإسلام تجاوز منذ ظهوره الحدود الجغرافية، والقوميات، والثقافات المختلفة، ولكنه لم يلغها، بل أكد على الالتماس بالوطن والأمة، بانياً ذلك على أسس سليمة مختلفة عن مفهومات العولمة.
ويمكن أن تكون العولمة حالة مليئة بالإيجابيات إذا استندت إلى ما استند إليه الإسلام من العدل والمساواة إضافة إلى مبادئه السمحة الأخرى.
انتهى كلام السيد الرئيس.

هذا هو الأقصى يهود جهرتنا ولبؤسه تتحدث الأخبار
المال مقتسم والعرض منتهك والقدر محتقر والدم طوفان
أين الملايين من أموال أمتنا فما لها في مجال الفعل برهان
هل عندكم نبأ مما يعد لكم أم خدر القوم لعاب وفتان
ذل وضعف وتمثيل و ملحمة ما ذاقها في ميادين الدهر إنسان
الخمير تشرب و الأوتار صاحبة وللميوعة فينا القدر و الشان
أما لنا في كتاب الله من عظة فقد دعانا لنصر الحق قرآن
أما لنا في طلوع الفجر من أمل أما تبدد عنا الشك و الران
يا أمتي مزقي الأغلال وانتفضي فالمجد لا يمتطيه اليوم وسرلان

عودي إلى الله فالأبواب مشرعة وعزة الله للأبواب عنوان

واستبسلي فشعاع الفجر منتشر وإن تجاهل نور الفجر عيمان

أيها الأخوة الكرام : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ تَخِيلَ، وَاحْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَ، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ تَجَبَّرَ، وَاعْتَدَى، وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ عَتَا، وَطَعَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ طَمَعَ يَقُودُهُ، بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ بِنْسَ الْعَبْدِ عَبْدٌ رَعِبَ يُذِلُّهُ))

[الترمذي]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، استغفروا الله.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أيها الأخوة الكرام: في الخطبة الأولى انطلقت من مقولة أو من بها، أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، الحقائق المرة ينبغي أن نواجهها لا أن نقفز عليها.

أيها الأخوة الكرام : إلى الموضوع العلمي، ثمة شيء لا يصدق، إن متراً مكعباً من التربة التي نستخدمها للزراعة فيه ما يزيد على مائتي ألف من الديدان العنكبوية، وعلى مئة ألف من الحشرات فقط في متر مكعب، وعلى ثلاثمائة من ديدان التربة العادية، وعلى آلاف الملايين من الجراثيم والكائنات المتناهية في الدقة، وإن غراماً واحداً من هذه التربة يحتوي على عدة مليارات من البكتيريا، مخلوقات متناهية في الدقة على شكل عصيات، على شكل كريات، على شكل لوانب بعضها ي تحتاج إلى الأكسجين، وبعضها لا يحتاج، بعضها عار، وبعضها له أهداب تمكنه من الحركة، إن هذا المصنع العجيب ذو حركة دائمة يقوم بمهمات هي من أكثر المهمات غموضاً واستغلاقاً حتى اليوم .
هذه الكائنات ما وظيفتها؟ يعرف العلماء بعض الوظائف، أما وظائفها بالضبط فما تزال سرا حتى الآن، هذا المصنع ذو حركة دائمة يقوم بمهمات من أكثر المهمات أهمية ونفعاً للإنسان.
الآن دقق، لو أن الجنس البشري كله أبيد عن آخره لبقيت الحياة مستمرة، أما هذه الكائنات لو أبيدت لانتهت الحياة من سطح الأرض كله، فربما كان وجود هذه الكائنات أخطر من وجود الإنسان، كل شيء نأكله على نحو مباشر، أو غير مباشر إنما أصله من النباتات الأخضر، تتساقط الأوراق فتأتي

الرياح، وتوزع هذه الأوراق المتساقطة على أنحاء التربة كلها، وتأتي مليارات الكائنات المجهرية فتلتهمها، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أكبر منها، هي وحيدات الخلية، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أرقى منها هي البكتيريا، يتم هذا على ثلاث مراحل وهذه العمليات الحيوية تحتاج إلى الهواء، فمن أين يأتي الهواء داخل التربة ؟

وظيفة الديدان أن تفتح أنفاقاً في التربة، فالديدان والقوارض وكل الحيوانات التي تعيش في باطن التربة مهمتها فتح هذه الأنفاق.

أيها الأخوة: هذه الديدان تلتهم التراب، وتفرز السماد، ولا يعلم إلا الله كم من الأطنان تنتجها الديدان في الهكتار الواحد، وكم من أطنان الأسمدة تنتجها الديدان في الكيلو متر المربع الواحد، إنه كون عظيم، وخالق عظيم، وشرع حكيم، فأين نذهب ؟ ما الذي يصرفنا عن الله سبحانه وتعالى، وعن تطبيق أمره ! هذه بعض الحقائق المذهلة في متر مكعب من التربة، قال تعالى:

(وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًا)

[سورة الإسراء: الآية 85]

(وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)

[سورة البقرة: الآية 255]

في الغرام الواحد عدة مليارات من البكتيريا، ما الذي يجري تحت التراب لا يعلمه إلا الله، إنها معامل، كائنات، عمليات كيميائية معقدة، معادلات، ونحن لا ندري، ليس لنا إلا أن نقطف الثمار، ونأكلها، وأن نجني الخضراوات، ونأكلها، وأن نحسب المحاصيل، ونأكلها، وعلى الله الباقي، قال تعالى:

(وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا)

[سورة إبراهيم: الآية 34]

خلق الله الأرض وما فيها، وما فوقها، وما تحتها، وما عليها من أجل أن نعرفه، فإذا عرفناه فقد حققنا الهدف من خلقنا، وإن لم نعرفه فبا حسرة علينا، قال سبحانه:

(يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِئُوْنَ)

[سورة يس: الآية 30]

والحمد لله رب العالمين